**نماذج تنموية**

إن التخطيط الذي تسعى إليه البلدان النامية ليس بالضرورة هو ذلك النمط من التخطيط الذي ساد أو لا يزال سائداً في الدول الرأسمالية أو الاشتراكية على الرغم من إمكانية الاستفادة منها ولاسيما التجربة الاشتراكية، إذا أخذنا بنظر الاعتبار اختلاف الظروف التاريخية والحضارية الاجتماعية لتلك الدول بالمقارنة مع بالدان العالم الثالث، وعليه فإنّ أقرب النماذج التنموية فائدة للدول النامية هي تلك النماذج التي تخص بعض البلدان النامية التي سبقتها في مضمار التخطيط لأجل التنمية لأنّ الظروف التي خضعت لها جميع الجوانب لا تختلف اختلافاً جوهرياً عن تلك الظروف التي تمر بها البلدان النامية في الوقت الحاضر، ومع ذلك فإنّ هذا القول لا يعني بأي حال من الأحوال عدم وجود اختلافات في أبرز خصائص النماذج التنموية للبلدان التي سيتم عرضها ولكنه يعني أنّ الخطوط العامة لهذه التجارب التنموية أقرب إلى بعضها البعض كما أنها أقرب إلى ظروف وأحوال بلدان العالم الثالث بوجه عام بالمقارنة مع النموذجين الرأسمالي والاشتراكي، وفي الصفحات القادمة موجز لبعض تلك التجارب التنموية التي من الممكن الاستفادة منها في التخطيط للتنمية في دول العالم الثالث.

**نماذج تنموية**

**أولاً- النموذج الياباني:**

**فكرة عامة عن وضع اليابان:**

- في يوليو 1853 م رست سفينة أمريكية قبالة الساحل الياباني، وكانت أمراً نادراً، فالشعب الياباني مغلق جدا، وعنصري جداً، وقاس جدا لا يعرفه إلا من عاشره وخالطه فروى عنه. وكان اليابانيون حرصاً على نقاء جزيرتهم، يقتلون أي إنسان ينزل ساحتهم من الأغراب، حتى لو تحطمت به سفينته، واضطر إلى اللجوء إليهم. وحملة قوبلاي خان عام 1882م حفيد جنكيزخان آخر الخانات المغول) كانت ذكرى مرعبة، حين زارهم بـ 4400 سفينة، فكان سيف الساموراي في استقباله، في أفضل ضيافة دموية.

-تقدم الجنرال (ماثيو بيري) برسالة إلى الإمبراطور الياباني، يطلب منه السماح للسفن الأمريكية، باستعمال المرافئ اليابانية، وأن يسمح للأمريكيين بالنزول إلى الساحل الياباني عند الضرورة. قبل الإمبراطور بهذا، وكانت بداية انفتاح اليابان على العالم، بعد عزلة دامت 200 سنة. ولم يبق الأمر عند الأمريكيين، بل سارعت للاستفادة منه، دول غربية أخرى، وعلى رأسها بريطانيا. وتطور الأمر ـ كالعادة في الضيافة ـ إلى احتلال الغربيين للشواطيء اليابانية، في الحملة الاستعمارية الناشطة يومها.

-وفي عام 1862م قام بريطاني هو (تشارلز ليونكس ريتشاردسن) بإهانة أحد رجال الساموراي، فما كان منه إلا أن استل سيفه فقتل اللورد البريطاني. غضبت بريطانيا، وطلبت محاكمة الياباني، وتعويض الإنجليزي؛ فلم تأبه اليابان؛ فما كان من بريطانيا إلا أن زحفت بسبع بوارج، تجاه الساحل الياباني، عند مقاطعة (كاجوشيما)، فأمطرت مدينة (توجو)، بوابل من حمم البوارج. فعاش اليابانيون حالات الذعر والإذلال وهم لا يملكون سوى السيوف، في وجه هؤلاء الشياطين البيض، الذين يقصفونهم من بعيد، دون أن يلوثوا أيديهم بدم اليابانيين بالالتحام المباشر. وكان مقاتلو الساموراي يلوحون بسيوفهم، ويصرخون بالبريطانيين: إن كنتم رجالا فانزلوا إلى الشاطئ، لنتبادل طعنات السيوف؟! وهو أمر فات وقته.. تحولت مدينة (توجو) إلى كتلة من النيران،، ولم يروا جنديا بريطانيا واحدا، بل كانت البوارج ترمي المدينة بنيران تتلظى.

- وكانت هذه الواقعة حاسمة في تغيير العقل الياباني، فأدرك اليابانيون أنهم خارج إحداثيات التاريخ والجغرافيا. وفورا أرسلوا إلى الغرب 150 شاباً من أذكى أولادهم وأكثرهم طموحاً وجلدا، فلا يعودون بدون معرفة سر البارجة التي تضرب من بعيد والمدفع الجبار؟ وهكذا بدأ عصر (الميجي) كناية عن اسم الإمبراطور، الذي كان يحكم يومها. وكان التوجه أن ينقلوا كل العلوم، من دون تحفظ، من أجل وضع اليد على سر تفوق الغرب.

-كانت اليابان قبل زيارة الجنرال الأمريكي (بيري) معزولة، تعيش على فتات عصر الساموراي المنقرض، حسب نظام عرف باسم (بوشيدو)، وهو نظام حربي صارم، يقوم على التدريب المتواصل، باستخدام سيف مرهف النصل، يحمل باليدين، ويعيش المحارب زاهدا نزيهاً، بالإضافة إلى احترام (معلم السيف) إلى درجة التقديس، والانحناء العميق عند ظهوره. وخلال خمسين سنة قفزت اليابان، من بلد متخلف إلى بلد من الدرجة الأولى، وهذا يعني أن تغير أي بلد لا يخرج عن هذا القانون، ويمكن أن يتغير، و يدخل العصر والحداثة. فقط بشروط دخول اليابان من روح التعلم والتواضع والانفتاح على كل الثقافات. والأهم أن اليابانيين وضعوا خطة لتجاوز الفاصل، وهو ما حققوه، وظهر واضحاً في معركة (تسوشيما) مع الروس عام 1905م، حيث سحق اليابانيون الأسطول الروسي، كما فعلوا لاحقا في (بيرل هاربر) **عندما هاجموا الأسطول الأمريكي القابع في ميناء بيرل هاربر في 7 نيسان 1941 ب 353 طائرة والتي أدت إلى تدمير الأسطول الأمريكي بأكمله.**

إذن لقد بقيت اليابان لفترة طويلة من الزمن منعزلة عن العالم الخارجي، ومع ذلك فإنّ التجربة اليابانية في التخطيط للتنمية أقدم عهداً من التجارب الأخرى في الدول النامية، ويمكن القول بأنّ ما يطلق عليه بإصلاح (ميجي- فترة ميجي (باليابانية: **ميجي** جيداي هي الفترة الأولى من تاريخ اليابان المعاصر (1868-1912 م). ... بعد وفاة الإمبراطور **ميجي** عام عام 1912 اعتلى الإمبراطور تايشو العرش وبدأت فترة تايشو من التاريخ الياباني.) أبرز وأقدم الإصلاحات التي أحدثت تأثيراً كبيراً في الحياة الاقتصادية في المجتمع الياباني بحيث أدت إلى انتقال اليابان من بلد اقطاعي إلى بلد بدأ يزحف نحو المرحلة الرأسمالية. ولا بدّ من التأكيد بأنّ المحرك الأساس لهذه الاصلاحات كانت الفئات العليا في السلطة وبذلك اختلفت عن التجربة الأوربية لأنّ الاصلاحات الاجتماعية فيها تحركت بفعل الطبقات الدنيا.

إنّ محور اصلاحات ميجي تدور حول مساعدتها للطبقة المتنفذة في اليابان والتي يطلق عليها (الساموراي- المحاربون الساموراي يشكلون 10% من السكان يقال أنهم يتمتعون بقوة هائلة فإذا مر الساموراي من أمام فلاح وجب على الفلاح أن ينحني له احتراما وإذا رفض الانحناء للساموراي الحق في قطع رقبته)[[1]](#footnote-1) في الانتقال من طبقة اقطاعية كبيرة إلى طبقة رأسمالية. وهنا قامت الحكومة اليابانية بانتزاع الملكية العقارية والسيطرة على الأراضي الزراعية بعد دفع التعويضات السخية لمالكيها واستغلال ما توفر لها من تراكم رأس المال نتج عن الزراعة في بناء الصناعة الحديثة.

أمّا نقطة التحول الهامة في النموذج الياباني للتنمية هو تحول الحكومة اليابانية ملكية المشاريع الصناعية التي اقامتها من الفرات في الإنتاج الزراعي إلى القطاع الخاص عن طريق البيع والتي كانت تتم بأقل من كلفتها، كما أنّ المشترون كانوا يحصلون على تسهيلات كثيرة أبرزها تأجيلات في الدفع لحث القطاع الخاص في الاتجاه نحو المجال الصناعي. بمعنى أخر إن التجربة اليابانية تعتمد على شعار تقوية القطاع الخاص بتشييد المشاريع الصناعية والاستفادة من رؤوس الأموال والخبرات الفنية والإدارية والتنظيمية التي تملكها الدولة فإذا نجح المشروع الصناعي تقوم الدولة ببيعة ونقل ملكيته إلى القطاع الخاص وبذلك يتوسع القطاع الخاص على حساب قطاع الدولة مما يؤدي إلى تسريع عملية التنمية الاقتصادية.

**الملامح العامة لهذا النموذج:**

1. إنّ هذا التقدم نحو الصناعة حدث على حساب المزارعين والطبقة الفلاحية أنّ الحكومة اليابانية فرضت ضرائب عالية عليهم وحاولت أن تجمع رؤوس الأموال ليس من أجل تحسين الأحوال المعيشية للفلاحين والعمل على رفاهيتهم بل لغرض أن تصبح الأموال التي تحصل عليها بهذا الطريق قاعدة لبناء الصناعة الحديثة.
2. خلق فوارق طبقية حيث اصبح تفاوت في الدخول بسبب نشوء الطبقة الرأسمالية، وهذه الطبقة بدورها كفئة متنفذة اهتمت بالتوسع والحروب والاهتمام بالتسليح وما يرتبط به من صناعات على الرغم من أن التوسع هذا خلق سوق خارجية لتصدير المنتجات من المواد المصنعة. ليس في هذه المستعمرات فقط وإنما الاسواق العالمية الأخرى وذلك لانخفاض أسعار تلك البضائع بسبب رخص العمل.
3. فشل هذا النموذج في تحقيق رفاهية المجموع لأنه يؤدي إلى رفه طبقة واحدة هي طبقة الرأسماليين، بمعنى أنه لم يحل مسألة التفاوت الطبقي والتفاوت الكبير في الدخول.

**إذن لماذا استمر هذا النموذج وهو يتصف بكل ما ذكرناه من صعوبات؟**

يجيب على هذا السؤال كثيرا ممن كتبوا عن التجربة اليابانية بقولهم أنّ السبب يكمن في الحضارة (الثقافة) اليابانية حيث التمسك الشديد بالتقاليد ففي اليابان كان هناك احتراماً مستمراً ببعض التقاليد الاجتماعية الموروثة خاصة ما يتعلق منها بتقدير الطبقات المتنفذة ولذلك فإن الحضارة اليابانية قد لعبت دوراً كبيراً في الحيلولة دون وجود صراع طبقي يطيح بالتنظيم الاجتماعي القائم.

**أوجه الاختلاف بين النموذج الياباني والنموذج الغربي أو ألأمريكي:**

يمكن إيجاز هذه الاختلافات على النحو الآتي:

1. يرى الأستاذ (رونالد دور) أحد أبرز الذين كتبوا عن المجتمع الياباني، في تعليقه على الاستقرار الاجتماعي والتماسك الاجتماعي في اليابان ومقارنته بما هو موجود في المجتمعات الغربية، إنّ المجتمع الياباني يتمتع بتماسك كبير وهو ناتج عن التجانس في الشخصية والالتزام بالقيم الذي هو أكبر وأقوى مما موجود في أي مجتمع غربي آخر، ويرى أن ذلك التجانس يعود إلى التجانس في نظام التعليم الذي يخضع له المجتمع الياباني.
2. يؤكد كوجان (مفكر ياباني)، إنّ المجتمع الياباني يحب الاستقرار ولا يرغب في التغير الجذري أو السريع، وهذا الاستقرار وجد في السنوات الأخيرة جنباً إلى جنب مع محاولة اليابانيين لضمان الاستقلال الاقتصادي في إطار من النمو السريع، ويعطي كوجان الفضل في هذا النمو الاقتصادي السريع إلى عدم تحول المنافسة داخل اليابان إلى صراع مدمر ويقول في ذلك إذا أردنا أن نغير موقفنا نحتاج إلى ثورة حضارية (ثقافية)، ولم يحصل ذلك في اليابان طيلة الألفي سنة الماضية لأنّ الثورة هنا تعني التحدي للفئات العليا والطبقات المتنفذة في المجتمع التي لا يجرؤ اليابانيون في تحديهم والثورة ضدهم.

ويشير كوجان أيضاً إلى أنّ ذلك لا يعني عدم وجود مشكلات في المجتمع الياباني بوصفه مجتمع صناعي فالمشكلات موجودة شأنها شأن ما موجود في المجتمعات الغربية والمجتمع الأمريكي، ولكن المشكلات في المجتمع الياباني لم تأتي عن طريق المنافسة كما هو الحال في المجتمعات الغربية كذلك دخول بعض العناصر الحضارية من الخارج من أمريكا وأروبا الغربية على وجه الخصوص إلى المجتمع الياباني لم يؤدي إلى اضطراب كبير في الكيان الحضاري الياباني فإذا قارنا مثلاً طبيعة الجرائم وعددها وتأثيرات الطبقة الاجتماعية والعلاقة بين أصحاب العمل والعمال وغير ذلك من ظواهر ليست سيئة في اليابان بالدرجة التي توجد عليها في الاقطار الصناعية الغربية.

**أبرز خصائص التجربة اليابانية:**

يمكن تحديد أبرز تلك الخصائص في ما يأتي:

1. التحول من الزراعة إلى الصناعة حدث على حساب الطبقة الفلاحية، أذ كانت الحكومة تفرض الضرائب الثقيلة عليهم واعتبرت هؤلاء الفلاحين وسيلة للوصول إلى أهدافها في بناء صناعة وطنية ولم تهتم برفع مستوى الفلاحية أو العمل على تحقيق طموحاتهم وتطلعاتهم.

إنّ هذا الأسلوب في الأعم الغالب قد لا يكون مقبولاً في أكثر البلدان النامية في الوقت الحاضر التي تسعى لتحقيق التحول من الزراعة إلى الصناعة.

1. احترام الطبقات المتنفذة بصورة مستمرة وعدم الرغبة في الثورة عليها ليس بالضرورة ظاهرة مقبولة في المجتمعات النامية؛ بلْ قد يكون العكس من ذلك إذ أنّ الثورات والانقلابات أو حركات التحرر الوطني قد تكون للقضاء على الامتيازات التي تتمتع بها تلك الطبقات والتي لا تمثل إلاّ القلة من السكان.
2. قيام القطاع العام بدور رئيس في بناء الصناعة وتحوله لملكية المشاريع الصناعية، بعد نجاحها إلى القطاع الخاص عن طريق البيع ووضع التسهيلات الكثيرة لتشجيع القطاع الخاص على شرائها يمكن أن تعتبر ظاهرة قليلة الحدوق في المجتمعات النامية.

إلاّ أنّ هذه الجوانب الفريدة للتجربة اليابانية والتي تعد سلبية بالنسبة لكثير من البلدان النامية التي تسعى إلى التنمية لا تعني أنّ النموذج الياباني ليست فيه جوانب إيجابية أو يمكن أن يكون مفيداً للدول النامية الأخرى إذا لاحظنا الجوانب الآتية:

1. أكدنا سابقاً أن هذا النموذج التنموي قد نقل اليابان من مجتمع زراعي متأخر إلى مجتمع صناعي متقدم وأصبحت المنتجات الصناعية اليابانية تنافس نظريتها الأوربية والأمريكية في الأسواق العالمية، واعتمد الانتقال بصورة أساسية على استغلال الفائض في الزراعة في بناء المشاريع الصناعية.
2. على الرغم من تشابه المجتمع الياباني في كثير من الخصائص مع المجتمع الصناعي الغربي أو الأمريكي فإنّ هناك بعض التقاليد والقيم ذات الطابع القومي الياباني القديم بقيت ثابتة ولم يحدث تغيير جوهري فيها وعليه فإنّ عملية التحديث لم تكن غربية فقط بل كانت يابانية أيضاً.
3. من أبرز مزايا النموذج الياباني ازدياد القدرة المالية والتنظيمية لمصارف ومؤسسات التنمية وأخذت دورها الكبير في تولي المسؤولية والتوعية في مختلف القطاعات كالزراعي والصناعي وقطاع النقل والمواصلات، يضاف إلى ذلك إنّ دور المصارف لم يقتصر على الجوانب المالية؛ بلْ تعداه إلى الجوانب الفنية والإدارية والمشاركة في تنفيذ المشروعات لضمان الطريق الذي تسير فيه والاطمئنان على لإمكانية استرداد القروض التي تمنحها لهذه المشروعات.

1. **الطبقات الأربع**

   **طبقة المحاربين: وتعرف أيضا باسم الساموراي وقد هيمنت هذه الطبقة على المجتمع بسبب قوتها الهائلة على الرغم من أنها تشكلة نسبة ضئيلة جدا من المجتمع وتقدر ب10% منه وكان على الطبقى الأقل منهم وهي المزارعون أن تبدي الاحترام للساموراي إذا مر بالانحناء أمامه وإذا لم يفعل أحد المزارعين ذلك يتم عقابه**

   **الطبقات الأربع في اليابان قديما:**

   **1طبقة المحاربين: وتعرف أيضا باسم الساموراي وقد هيمنت هذه الطبقة على المجتمع بسبب قوتها الهائلة على الرغم من أنها تشكلة نسبة ضئيلة جدا من المجتمع وتقدر ب10% منه وكان على الطبقى الأقل منهم وهي المزارعون أن تبدي الاحترام للساموراي إذا مر بالانحناء أمامه وإذا لم يفعل أحد المزارعين ذلك يتم عقابه**

   **-2-طبقة المزارعين: وهي الطبقة الثانية وتعتبر نفسها أنها مهمة بسبب إنتاجها للمحاصيل الزراعية ومواد الطعام الأولية التي يعتمد عليها باقي الطبقات إلا أن هذه الطبقةعانت من الضرائب بشكل قاسي**

   **3-طبقة الحرفيين: على الرغم من أنهم أساس لإنتاج السلع كالأقمشة وسلاح الساموراي وباقي السلع إلا أنهم اعتبروا أقل أهمية من المزارعين وقد كانوا يعيشون في قسم خاص بهم بعيدا عن طبقة الساموراي التي كانت تعيش في القصور المشيدة**

   **4-طبقة التجار: وتضم التجار المتجولون أو الذين في المتاجر واعتبرت هذه الطبقة متدنية وتم نبذهم بسبب اعتبارهم طفيليات مستفيدين من عمل المزارعين والحرفيين وبناء على ذلك تم عزلهم في قسم خاص بهم ومنعوا من الاختلاط مع باقي الطبقات باستثناء البيع والشراء منهم ومع جمعهم للثروات ونموهم الاقتصادي أصبحوا يؤثرون على المجال السياسي وتراجعت القيود المفروضة على هذه الطبقة** [↑](#footnote-ref-1)